# الجارديان: "إسرائيل تحاول محو ذاكرتنا"!

الأربعاء 20 ديسمبر 2023 07:24 م

تقول نسرين مالك، الكاتبة السودانية المقيمة في لندن، في عمودها بالصحيفة البريطانية، إن الأشياء المادية وغير المادية التي تصنع ذاكرة الشعوب وتربطها بالأرض، هي ذاتها الأشياء التي تمحو هويتها إذا زالت.

وعلى رأس المعالم التي دمرتها الغارات الإسرائيلية "المسجد العُمَري الكبير" أقدم مسجد في قطاع غزة، وثاني أقدم مسجد في فلسطين التاريخية بعد المسجد الأقصى، بالإضافة إلى تضرر كنيسة القديس برفيريوس، الأقدم في غزة، والتي يُعتقد أنها ثالث أقدم كنيسة في العالم.

وإلى جانب قصف أكثر من 100 موقع تراثي في غزة، وتسوية المكتبات والمتاحف وفقد الوثائق، فيما وصفه التقرير بـ"اجتثاث الماضي"، يسلط التقرير الضوء كذلك على "تحجيم المستقبل"، مع تدمير الجامعة الإسلامية في غزة، أول مؤسسة للتعليم العالي في القطاع والتي تأسست في السبعينيات، بالإضافة إلى تدمير أكثر من 200 مدرسة.

ثم ينتقل تقرير الصحيفة البريطانية إلى الحديث عن خسائر الكوادر البشرية، ومن أبرزهم رئيس الجامعة الإسلامية، سفيان تايه، وعالم الأحياء الدقيقة الدكتور محمد عيد شبير، والشاعر والكاتب الدكتور رفعت العرعير، الذي انتشرت قصيدته التي يستهلها بالقول: "إذا كان لا بدّ أن أموت فلا بد أن تعيش أنت لتروي حكايتي".

"لكن حتى تلك الحكاية، ستواجه صعوبة في أن تُروى بدقة" كما يرد في التقرير؛ بسبب مقتل الصحفيين المعنيين بتوثيق الحقائق؛ ففي الأسبوع الماضي، قتل أكثر من 60 صحفيًا، كما أصيب آخرون من بينهم مراسل الجزيرة وائل الدحدوح.

يتحدث التقرير كذلك عن الخسائر غير المادية كطقوس الدفن والحداد وإحياء ذكرى الأحباء، الأمر الذي لن يتمكن بعض الفلسطينيين من ممارسته وفقًا لتحقيق أجرته صحيفة نيويورك تايمز، والتي كشفت عن تدمير 6 مقابر على الأقل بسبب جرافات القوات البرية الإسرائيلية خلال تقدمها في القطاع.

ويشرح التقرير كيف أن غزة مدينة لها تاريخها وشوارعها وشطآنها وأشجارها، وكلها معالم دمرها القصف الإسرائيلي، إلى جانب محو عائلات بأكملها، فيما يشبه "تمزيق صفحات من كتاب".

واستعان التقرير بما قالته دينا مطر، الأستاذة في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية SOAS التابعة لجامعة لندن، لصحيفة فينانشال تايمز عن أن "مثل هذه الخسارة تؤدي إلى محو الذكريات والهويات المشتركة" عند سرد تاريخ وحكايات البشر في الحياة العادية.

في الجزء الأخير من مقالها، تحدثت نسرين عن خسارة فنانين مثل هبة زقوت، التي كانت توثق بريشتها الأماكن المقدسة والنساء الفلسطينيات بملابسهن التقليدية المطرزة، وذلك بعد أن نشرت مقطع فيديو تقول فيه "الفن رسالة أوصلها إلى العالم الخارجي من خلال تعبيري عن القضية الفلسطينية والهوية الفلسطينية".